الموضوعات الشعرية في شعر الخوارج

م.م.خبات نجاة محمد محمد الجباري
المديرية العامة للتربية/مديرية تربية كركوك

الملخص

تهدف هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على سبب تسمية الخوارج بهذا الاسم وكذلك الوقوف على أبرز موضوعاتهم الشعرية التي برعوا فيها دون غيرها وسبب تأكيدهم على هذه الموضوعات دون غيرها، لذا قسم البحث إلى مبحثين أساسيين مبحث أول في رصد موضوعات تفرد بها شعراء خوارج ومبحث ثانٍ في الموضوعات والأغراض التقليدية، وكذلك تسليط الضوء على بعض التغيرات في مقدمات القصائد عندهم وعدم الاهتمام بها، كما أن شعرهم مال إلى القصر في الأبيات، كما وتهدف الدراسة إلى اثبات أن جل الموضوعات الشعرية قد بدت عليهما تغيرات واضحة عند الخوارج ورصد هذا الأمر، وجعل المنظوم الشعري بموضوعاتها كافة في سبيل الدعوة الخارجية فقط، وكان من نتيجة ذلك ابتعادهم عن بعض الموضوعات التي لا تخدم قضيتهم ولا تتماشى مع دعوتهم كشعر العصبية القبلية والنقائض بالرغم من انتشارهما في العصر الأموي بكثرة، وبذا أصبح شعرهم كلاً واحداً متشابهاً لأنه يصب في خدمة قضية واحدة وفكرة موحدة، ألا وهي إعلاء عقيدة الخوارج التي يؤمنون بها .

الكلمات المفتاحية:(الخوارج، التحكيم، الشراية، الموضوعات الشعرية، سمات شعر الخوارج) .

المُقدمة

بسم الله وبه نستعين والصلاة والسلام على خير الأنام محمد ﷺ وعلى آله الأطهار وصحبه الغر الميامين

أمّا بعد ...

حين نقرأ شعر الخوارج وحياة شعرائهم نلاحظ الفرق الواضح بين شعرهم وشعر أقرانهم من شعراء العصر الأموي، إذ نلاحظ الاختلاف الواضح من حيث الموضوعات وكيفية تناولها من لدن شعرائهم، كما نلاحظ

تركيزهم على ما يخدم دعوتهم وإعلاء كلمتهم بلغة جزلة قوية وابيات قصار قلما يصل إلى مستوى القصيدة من

حيث عدد الأبيات، غير مبالين ببنية القصيدة من حيث الإبتداء والإنتهاء ووصف الرحلة إلى الممدوح والمقدمات الغزلية – صحيح أن هذه سمة بارزة في الشعر الإسلامي بصورة عامة ألا إنّ هذه السمة إمتدت إلى شعرائهم في العصر الأموي وهذا ما يتميزون به عن غيرهم – ، وقد قسمنا البحث إلى مبحثين وتمهيد، في التمهيد حاولنا شرح تسمية الخوارج ومن أين جاءت ولم نطل الكلام فيه فقط قمنا باحالة القارئ إلى المصادر ، ومن ثم ذكرنا خصائص شعرهم وأبرز سماته، وفي المبحث الأول تناولنا الموضوعات الشعرية التي تفرد بها شعرائهم كالشراية والتحكيم اللذان يعدان صلب العقيدة الخارجية ومن أهم مبادئهم، وفي المبحث الثاني تناولنا الأغراض التقليدية من مدح، وهجاء، ورثاء، وغيرهم مبينا الفرق بين تناولهم لهذه الموضوعات والأغراض وبين الشعراء في هذا العصر، وفي الخاتمة ثبتنا أهم ما وصل إليه البحث من نتائج، راجين منه تعالى أن نكون قد وفقنا في مبتغانا وهو ولي التوفيق .

التمهيد

الخوارج[١]: ((فرقة كانت تعتقد أن ولاية الأمة الاسلامية ليست وقفاً على قريش بل هو حق لخير المسلمين ولو كان عبدا حبشيا، وفي سبيل هذه العقيدة استعذبوا الاستشهاد واستباحوا دماء المسلمين بل ودماء اطفالهم طلبا لرضا الله ولثواب الآخرة، ولذلك اصطبغ ادبهم بصبغة الثوار المشهرين سيوفهم أينما حلوا وارتحلوا فشعرهم حماسي، ولكنها حماسة لا تثيرها العصبيات القبلية كما كانت الحال عند شعراء الجاهلية وإنما تحركها عصبيات العقيدة السياسية التي دانوا بها، كما كان شعرهم يفيض بالتعاطف فيما بينهم، والزهد في الحياة الدنيا وطلب ثواب الآخرة، وانما سموا بالخوارج لخروجهم على اجماع المسلمين في أن الخلافة في قريش، ومن أشهر شعرائهم [عمران بن حطان المتوفى سنة ٨٤ هـ] و [الطرماح المتوفي سنة ١٠٥ هـ]))[٢]، وهناك من يقول أنهم سموا بالخوارج نسبة الى الخروج في سبيل الله[٣]، وذلك مأخوذ من قوله تعالى:﴿ وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ۚ وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ

الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾[٤]، ويقول الدكتور شوقي ضيف:((وسموا بالخوارج لأنهم خرجوا على إمامهم الذي بايعوه وهو علي))[٥]، ((وعلى هذا الأساس فالخوارج حزب ثوري جامح صريح العداء للدولة الأموية القائمة على وراثة الملك لا على ديمقراطية الانتخاب العام بإجماع الأمة))[٦] .

خصائص شعرهم :

١- شعرهم سياسي بحت في جميع موضوعاته وأغراضه، ففيه دعوة جهرية لمذهبهم وعقائدهم واحتجاج ومقارعة للخصوم ودحض لحججهم ووصفهم بالكفر والإلحاد، ووصف صادق لشجاعتهم وبسالتهم في الحرب ومواجهة الموت بنفوس أبية، ويصور تقواهم وزهدهم وعدم اكتراثهم بالحياة، وفيه رثاء صادق لقتلاهم ورجاء اللحاق بهم .

٢- تميز اسلوبهم الشعري بالجزالة والقوة، نظراً لإقبالهم الشديد على القرآن وقراءته ومدارسته والانعكاف على حفظه، وكونهم أهل بادية لم تفسدهم الحضارة ولم يتأثروا بالمدنية، كان له أثرٌ كبير في هذه الجزالة والقوة .

٣- صدق العاطفة وحرارتها، كونها خارجة من نفس لا تهاب الا الله وتستهين بالحياة ومليئة بحرارة الإيمان وفدائية في سبيل كلمة الله وإعلائها، والذود عن حمى ومحارم الله والدين .

٤- إيمانهم بقضيتهم وعدم انشغالهم بأمور جانبية يحيدهم عن قضيتهم الرئيسة جعل شعرهم خالٍ من العصبية القبلية .

٥- وحدة الموضوع والحماسة سمة رئيسة من سمات شعرهم، وابتعادهم في أغلب اشعارهم عن بنية القصيدة التقليدية، من ابتداء بالغزل أو وقوف على أطلال رميمة والبكاء عليها أو وصف رحلة وطريق .

٦- هذه السمات والخصائص السابقة جعلت من شعرهم متشابهاً عند كثيراً من شعرائهم، فكلهم ينهلون من معين واحد، وينشدون بعاطفة واحدة، ويخدمون قضية واحدة، وثقافتهم متقاربة من بعض، فكان هذا سبباً في نسبة شعر شاعر إلى غيره .

٧- يذكر الدارسون لشعر الخوارج بأن عدد شعراء الخوارج كان وفيرا، وأن عدداً قليلاً من شعرائهم اشتهروا بالإكثار[٧] ومنهم: عمران بن من حطان، وقطري بن الفجاءة، وغيرهم . ومما يلاحظ في شعر الخوارج، أنه لم يرد في المصادر القديمة سوى نتفة لهذا الشاعر أو لذاك، وأن كثيرا من شعرهم قد أصابه البتر، وسبب ذلك: ربما كان بعض المؤرخين أو الرواة قد تعمدوا إهمال شعر الخوارج – كرهاً أو تحرجاً، وثمة تحليل يضاف إلى إهمال الرواة منها: أن الخوارج لم يتخذوا الشعر حرفة يتكسبون بها، ولم يتعاطوه فنا للمباهاة بل هو وسيلة لحاجة آنية ليس غير، ولعل موت كثير من هؤلاء الشعراء في الحروب كان سببا رئيسا لضياع شعرهم(٨). ودراستنا هذه محاولة وجيزة تواصل جهود المعاصرين في تناول الظاهرة وبيانها بشكل مختصر للقارئ .

موضوعات شعر الخوارج :

إنّ محاولة تحديد الموضوعات التي تناولها شعراء الخوارج بقصائدهم تواجهها صعوبات عديدة تتمثل في التداخل الكبير في شعرهم لدرجة يصعب فيها تحديد أغراض الشعر؛ ذلك أن بعض أبيات هذه القصيدة أو تلك يصح أن يكون في غرض معين، وفي الوقت نفسه تصلح أن تكون في غرض آخر أو أكثر، فهذه تصنف في إطار موضوع آرائهم الدينية والسياسية مثلا، وفي الوقت نفسه تصنف في غرض آخر كالزهد أو الفخر أو الهجاء أو غيرها من الأغراض الشعرية الموجودة في أشعارهم ، لذلك قسمنا البحث إلى :

المبحث الأول

الأغراض الشعرية التي انفردوا بها

أما أهم الأغراض التي انفرد بها شعر الخوارج ما يأتي :

ثمة قضيتان أساسيتان تستحوذان على تفكير الخوارج وسلوكهم السياسي والعسكري، وهما: التحكيم والشراية، أما غير ذلك فلا يعدو أن يكون نتائج أو روافد لهما.

١. قضية التحكيم :

فقد استحوذت عليهم قضية التحكيم التي وافق عليها الإمام علي (رضي الله عنه)، ما إن وافق علي كرم الله وجهه بالتحكيم حتى ((هبوا في وجهه، كما هبوا سابقاً في وجه عثمان وكفروه كما كفروا سلفه))[٩] مستندين في ذلك على قوله تعالى:﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾[١٠] و((طلبوا من علي أن يقر على نفسه بالخطأ بل وبالكفر لتحيره، ولشكه ولقبوله التحكيم))[١١]، مما حدا بشعراء الخوارج إلى إعلان الثورة المسلحة على الإمام علي (كرم الله وجهه)[١٢]، يقول فروة بن نوفل في ختام قصيدته[١٣]:

– وَفارَقْنا أَبا حَسَنٍ عَلياً فما مِنْ رجْعَةٍ إحْدى اللَيالِي
– فَحَكَّمَ في كِتابِ اللهِ عَمْراً وذاكَ الأشْعَرِي أخَا الضَلالِ

فهو يعلن أن فراقهم لعلي رضي الله عنه هو فراق أبدي لا رجعة عنه، وذلك لأنه حكم الرجال من أهل الضلال، ويقصد بذلك أبا موسى الأشعري رضي الله عنه، وعمرو بن العاص رضي الله عنه، وقد كان عتاب الخوارج لعلي أول الأمر خفيفا معتدلا، ثم ما لبثوا أن أعلنوا مفارقتهم له رضي الله عنه كما ذكرنا آنفا. وليس علياً فحسب بل اعتبروا جميع الاطراف في قضية التحكيم على ظلال؛ وفي هذا يقول مصك الطائي[١٤]:

– أَبْرأُ إلى اللهِ مِنْ سَيفٍ و شِيعَتِه وَمِنْ عَلِيٍ وَمِنْ أصحابِ صَفِينا
– وَمِنْ مُعاويَةَ الغَاوِي وشِيعَتِه أخزى إلهُ الوَرى تلكَ العَثانِينا

وأعلنوا القتال ضد كلا المعسكرين معسكر علي كرم الله وجهه ومعسكر معاوية في الآن ذاته، وفي هذا يقول فروة بن نوفل الأشجعي[١٥]:

– نُقاتِلُ مَن يُقاتِلُنا ونَرضى بحُكمِ اللهِ لا حُكمَ الرجالِ

وبناءً عليه فقد أباحوا قتل علي كرم الله وجهه ومن ذلك رجز شريح بن أوفى يوم النهروان[١٦]:

– أقتلُهم ولا أرى علياً
– ولو بدا أو جرثُهُ الخَطيا

وكان أساس هذا الخروج عن معسكر علي كرم الله وجهه والدعوة إلى محاربته بل واستباحة قتله هو قبول سيدنا علي بالتحكيم .

٢- الشراية والخروج :

فرض الخوارج على انفسهم واجب الخروج الذي يفرض عليهم مقاتلة مخالفيهم من المسلمين الذين ضلوا السبيل وانحرفوا عن طريق الحق والصواب، وحرصاً منهم على شراء أنفسهم في سبيل الله، وإخراجهم للمسلمين الذين خالفوهم من دائرة الإسلام، وعدوا ديارهم ديار كفر، ودعوا إلى أن يرحلوا عنها، فلا تجوز الإقامة بين ظهرانيهم، وهم في خروجهم يتغنون إرضاء الله وتنفيذ أمره[١٧]، وفي هذا يقول الصحاري بن شبيب وهو من الخوارج[١٨]:

- إنّني شارٍ بنفسِي لرَبي تاركٌ قيلاً لديهمْ وقَالا
- بائعٌ أهلي وَمالي أرُجو في جِنانِ الخُلدِ أهلاً ومالا

ويقول أبو بلال مرداس بن أدية في الخروج حين ألح ابن زياد في طلب الخوارج، فعزم أبو بلال على الخروج[١٩]:

- إلهي هبْ لي زلفةً ووسيلةً إليكَ فإنّي قدْ سئمْتُ منَ الدَّهرِ
- وقدْ أظهرِ الجورَ الولاةُ وأجمعُوا على ظلمِ أهلِ الحقِ بالغدرِ والكفرِ
- وفيكَ إلهي إنْ أردتَ مُغيرٌ لكلِ الذي يأتي إلينا بَنو صَخرِ
- فقدْ ضَيقوا الدُنيا عَلينا برحْبِها وقدْ تركُونا لا تَقرُ منَ الذُعرِ
- فيا ربُ لا سلمَ ولا تكُ للرَدى وأيدْهُم يا ربُ بالنصرِ والصبرِ
- يسرْ لنا خيرةً ولا تحرمْنَنَا لقاءَ ذوي الإلحادِ في عددٍ وثرِ
- فلسنا إذا جمعتْ جموعُ عدونا وجاءوا إلينا مثلَ طاميةِ البحرِ
- نكفُ إذا جاشَتْ إلينا بحورَهُم ولا بمهاييبٍ نحيدُ عنِ البترِ
- ولكنا نلْقى القِنا بنحورِنا وبالهامِ نلقى كلَ أبيضَ ذي أثرِ
- إذا جَشأتْ نفسُ الجبانِ وهللتْ صبرَنا ولو كانَ القيامُ على الجمرِ

وما دام الخوارج قد اختاروا الحرب للدفاع عن مبادئهم، فلا بد أن تكثر مواقعهم وحروبهم، ومن البديهي أن يكثر شعر الحرب في ديوانهم؛ لأنّ الحرب من أقوى المظاهر وأدعاها لإثارة قرائح الشعراء، وإظهار مواهبهم الفنية . وقد خاض الخوارج الحروب وهم يعتقدون أنهم أهل الحق، وأن واجبهم الديني يفرض عليهم تحرير غيرهم من المسلمين، لذلك أخذوا يتسابقون إلى الحرب، واستعذبوا الموت في سبيل حياة خالدة، وكان هدفهم إعادة الحق إلى نصابه، وإقامة حكم الله بين

الناس، فحاربوا بشدة وهم يستقبلون أسنة الرماح، والقصيدة السابقة اجمل تصوير لثباتهم في الحرب .

((أمّا صورة البطل عندهم فهي ذات صلة بعقيدتهم، فهم لا يعيرون اهتماما لتكوينه الخلقي أو اصالته وحسبه، ولكنهم يركزون على شجاعته ومقدرته واستماتته في طلب الشهادة))[٢٠]، ولكن الغريب في هذا البطل أنّه خرج من دون عودة فهو خارج للنصر ولكن لا يرجو العودة فهو كما قلنا قد شرى نفسه لله، وهذا الأمر حدا بالخارجي البسالة في القتال والاستماتة في سبيل الله والقضية التي يؤمن بها وقد كان الموت اشهى على قلوبهم من العسل كما يقول البهلول الشيباني[٢١]:

– مَنْ كانَ يكرهُ أنْ يَلقى مَنيتَهُ فالموتُ أشهى على قلبي من العسلْ

والخوارج لا يجدون حرجا أو عارا عليهم إذا تحدثوا عن أصحابهم القتلى من الخوارج، وقد قطعت رؤوسهم وأذرعهم في أرض المعركة، ولا يرون حرجا في التحدث عن هزائمهم، وهذا ليس من باب التخاذل وانما من باب التحرق على من سبقوهم إلى الجنة[٢٢]، وفي هذا يقول حيان بن ظبيان السلمي:[٢٣]

– خليلي ما بيَّ من عزاءٍ ولا صبرٍ ولا إربةٍ بعد المصابينَ بالنهرِ
– سوى نهضاتٍ في كتائبِ جمة إلى الله ما تَدعو وفي الله ما تَفرِي

وقد تطرق شعراء الخوارج في شعرهم إلى الأسلحة التي كانوا يلجؤون إليها، وهي تتمثل بالقوى المعنوية والتغني بالشجاعة وأن عزهم صدور القنا وعادتهم قتل الملوك، يقول ابن أبي مياس المرادي في هذا المعنى[٢٤]:

ونحنُ ضربْنا، يا لكَ الخيرُ، حيْدَرا أبا حسنٍ مأمومةً فتفَطَّرا
– ونحنُ حللْنا مُلكَه من نظامِهِ بضربةِ سيفٍ إذ علا وتَجَبرا
– وعادَتُنا قَتلَ الملوكِ وعزَنا صدورَ القِنا إذا لبسْنا السِنَّورا
– ونحنُ كرامٌ في الصباحِ أعزةٌ إذا الموتُ بالموتِ ارتدى وتأزَّرا

أما السلاح المادي فقد كتبوا الكتائب المدججة، وتسربلوا بحلق الحديد، وألبسوا الكراريس عدة الحرب والقتال، واهتموا بالخيل وتعلقوا بها، فمما يشير إلى تعلقهم بالخيل، ما دار بين الأعرج

المعني – وهو من الخوارج – وزوجته من تلاوم بسبب اهتمامه الزائد بجواده، ووصل به الأمر إلى تفضيله عليها في ساعة الشدة حين يأخذها الفزع[٢٥]، يقول الأعرج المعني[٢٦]:

– أرى أمَّ ســـــهلٍ مـــــا زالَ تفجـــــعُ تلـــومُ ومـــا أدري عـــلامَ توجـــعُ
– تلـــومُ علـــى أنْ أمـــنحَ الـــوردَ لقحـــةً ومـــا تســـتوي والـــوردُ ســـاعةَ نفـــزعُ
– اذا هـــي قامَـــتْ حاســـراً مشـــمَعلةً نُخيـــبُ الفـــؤادَ رأســـها مـــا يقنـــعُ
– وقمـــــتُ إليـــــه باللجـــــامِ مَيســـــرا هنالـــكَ يجزينـــي بمـــا كنـــتُ أصـــنعُ

المبحث الثاني

الأغراض التقليدية

أولاً: الرثاء

يعد الرثاء في شعر الخوارج أكثر الأغراض كمّاً، ويمكننا تعليل كثرة الرثاء في شعر الخوارج بسبب طبيعة حياتهم التي كانت سلسلة متصلة المعارك والحروب، ولكن يختلف شعر الرثاء عند شعراء الخوارج عن غيرهم بأنه عبارة عن تمجيد القتلى و ذكر مآثرهم ومفاخرهم أكثر مما هو شعر رثاء تقليدي ، فكثر القتل فيهم بسبب ذلك والفكرة في الرثاء لا تختلف في كثير أو قليل سواء أكان المرثي أخاً من جهة الأب والأم، أم كان أخا في العقيدة والمذهب، أو قتلى الخوارج الذين سقطوا في مواقع القتال[٢٧]، ومن ذلك قول شمر بن عبد الله اليشكري في أخيه ريان[٢٨]:

– كمـــدٌ تجلجـــلَ فـــي فُـــؤادي حســـرةً كالنـــــارِ مـــن وجـــدَ علـــى ريـــانِ
– وفـــوارسٍ بـــاعوا الالـــهَ أنفســـهمْ مـــن يشـــكرِ عنـــدَ الـــوغى فرســـانِ

فالقلب أصابه الكمد حزنا وحسرة على من أخيه فالحزن مستعر في قلبه كالنار مشبهة أياه بجلجلة الأفعى التي نادرا ما يتوقف ، وسرعان ما يتدارك نفسه لكي يصف حزنه بأنه ليس على أخيه فحسب بل على فرسان شجان أمثال أخيه باعوا أنفسهم لله وأشتروا الجنة بأرواحهم فهؤلاء هم من يستحقون الثناء والشكر، وكذلك شعر عبيد الله بن هلال اليشكري في أخيه محرز[٢٩]:

إذا ذكـــرتُ نفســـي مـــع الليـــلِ مُحـــرزا تأوهـــتُ مـــن الحـــزنِ عليـــه إلـــى الفجـــرِ
– ســـرى مُحـــرزا والله أكـــرمَ مُحـــرزا بمنـــزلِ أصـــحابِ النخيلـــةِ والنهـــرِ

عنما تخيم الليالي وتجثم على صدر الشاعر يبدأ هو بالتأوهات والزفرات المحملة بالحزن ومشحونة بالطاقة السلبية المتراكمة في صدره بسبب حزنه على أخيه ، ولكنه سرعان ما يتذكر الثواب الذي يتلقاه أخيه جراء الشهادة حتى يكون هذا متنفساً له مما يعانيه ، وربما كان المقتول والميت لا يقرب الشاعر بالدم وانما اخوه في العقيدة كما بينا ذلك في شعر حيان بن ضبيان في موضع سابق ، وربما كان الرثاء من الأم لولدها مثلما رثت أم عمران الراسبي ولدها بقولها[٣٠]:

- اللهُ أيـــــدَّ عمرانـــــاً وطهَّـــــرهُ وكـــانَ عمرانـــاً يـــدعو اللهَ فـــي الســـحرِ
- يـــــدعوه ســـــراً واعلانـــــاً ليرزقَـــــهُ شـــــهادةً بيـــــدِ ملحـــــادةٍ غـــــدرِ

وهنا نجد الرثاء خاليا من التفجع والحزن والعميق والتنهد والحسرات وهذا من ابرز سمات رثاء الخوارج ، فهو أقرب إلى التمجيد أكثر من الرثاء[٣١] ، وكثيرا ما يتخذ الشعراء من الخوارج الرثاء مناسبة لتأكيد التزامهم بخطى أسلافهم الذين جبلوا على تقوى الله، أحبوه فأحبهم، واستضافوه فأنزلهم غرف الجنان العلا، يقول قيس بن الأصم في رثاء قتلى النخيلة من الخوارج عند الجوسق[٣٢]:

- إنـــي أديـــنُ بمـــا دانَ الشـــراةُ بـــهِ يـــومَ النخيلـــةِ عنـــدَ الجوســـقِ الخـــربِ
- النـــافرينَ علـــى منهـــاجِ أولهـــمْ مـــن الخـــوارجِ قبـــلَ الشـــكِ والريـــبِ
- قومـــاً إذا ذكـــروا بـــاللهِ أو ذكـــروا خـــروا مـــن الخـــوفِ للأذقـــانِ والركـــبِ
- ســـاروا إلـــى اللهِ حـــقٌ أنزلـــوا غرفـــاً مـــن الأرائـــكِ فـــي بيـــتٍ مـــن الـــذهبِ
- مـــا كـــانَ إلا قلـــيلاً ريـــثَ وقفـــتهمْ مـــن كـــلِ أبـــيضَ صـــافيَ اللـــونِ ذي شـــطبِ
- حتـــى فنـــوا ورأى الرائـــي رُؤوسَـــهم تَغـــدو بهـــا قُلـــصٌ مهريـــةٌ نجـــبِ
- فأصـــبحتْ عـــنهم الـــدنيا قـــدْ انقطعـــتْ وبلغـــوا الغـــرضَ الأقصـــى مـــنِ الطلـــبِ

إذا قرأنا البيات السابقة يتظهر لنا وبوضوح أنَّ الرثاء عندهم ليس إلا تمجيداً لقتلاهم وذكراً لمآثرهم و دهوة لعقائدهم والثبات على هذه العقائد حتلى نيل الشهادة ، فالشاعر يجدد البيعة لما يدين به الشراة أصحابه حين نفروا للقتال ثابتين على منهاج من سبقوهم بلا شك وريب ، فهم يرتعشون خوفاً من الله لذا ساروا إلى ما أمروا به حتى تقطعت اجسادهم وتناثرث جثثهم وبلغوا غاية مقصدهم إلا وهي الشهادة في سبيل العقيدة التي يؤمنون بها ، أمّا شاعر الإباضية فقد حول مرثيته المطولة إلى حديث طويل عن بطولات الشراة في الحروب ومآثرهم في القتال، ومزاياهم الإنسانية السلوكية، ومثل ذلك مرثية عمرو بن الحصين العنبري لأبي حمزة المختار وأصحابه من الشراة، فنرى الشاعر يعد سبيلهم سبيل الحق، ومن ثم يعود ليغدق عليهم الصفات

العالية الكريمة، فيصفهم بالصبر والثبات عند حومة الوغى، وأنهم أكفاء عند العسر واليسر، ويتحدث عن إيمانهم و تقواهم وما جبلوا عليه من حب الله، ومواضبين على تلاوة كتابه، والعمل لمرضاته، واجتناب ما نهى عنه، ثم يعود بعد ذلك ليتخذ أبي حمزة وبعض أصحابه النموذج الحي للخوارج المثاليين الذين عبرهم يمتدح جميع الخوارج، فإذا هم بالصفوة من الرجال الذين يخوضون المعارك، ويتركون الهوى، عندهم الشهامة والمروءة، وفي نفوسهم النقاوة والطهارة، وعلى السنتهم الطلاقة في كتاب الله، وحرارة الإيمان تغلي في صدورهم، فتجيش زفرات وتصعيدا، وهم سهام على اعدائهم، يخوضون غمرات القتال دون وجل أو فزع ، ومن الجدير بالذكر إنّ الشاعر يستمر في سرد الثناء على اصحابه حتى ينسى قارئ القصيدة أن الموضع رثاء، إلا أنَّه ينهي قصيدته بذكر أنّ اصحابه القتلى أصبحوا صرعى تنهش أنياب الوحوش أجسادهم، وجاءت هذه الملحمة المصورة في قصيدة تتكون من (٥٦) بيتا، تبدأ بقوله:

– هبـــــتْ قبيـــــلَ تـــــبلجَ الفجـــــرِ هنـــــدٌ تقـــــولُ ودمعهـــــا يَجـــــري

وختمها كما ذكرنا بذكر اصحابه:

– صـــــــرعى فخاويـــــــةٌ بيـــــــوتهمْ وخوامـــــــعٌ لحمـــــــانُهمْ تفـــــــري[٣٣]

وفي مرثية عمران بن حطان لأبي بلال (مرداس بن أبي أدية) تتجلى فيها العقلانية إذ يرى أنّ الموت هو الحقيقة الكبرى التي يرسو عليها اليقين، والتي يشاهد المرء آثارها أمام عينيه غابرا وحاضرا، وذلك حين يجعل من نفسه شخصا آخر يخاطبه، فيتحداها لترتحل إلى أرض لا موت فيها، إن كانت كارهة للموت، ثم يطبق عليها مباشرة دون أن يترك لها فرصة الضياع في متاهات الخيال، فينفي لها وجود مثل هذه الأرض، ويكفيه للتدليل على استحالة ذلك أنّ مرداسا واصحابه قد ماتوا، ومن قبلهم مات الأنبياء والرسل[٣٤] .

يقول عمران بن حطان في رثاء أبي بلال[٣٥]:

– إنْ كنـــتَ كارهـــةً للمـــوتِ فـــارتحلي ثـــمْ اطلبـــي أهـــلَ أرضٍ لا يموتُونـــا

– فلســـتَ واجـــدةً أرضـــاً بهـــا بشـــراً إلا يروحـــــون أفواجـــــاً و يغـــــدونا

و خلاصة القول في رثاء الخوارج أنه جاء خاليا من التفجع الحاد، ومن الحزن المستمر، فلا وهن عند الفجيعة، بل كان عبارة عن تمجيد للقتلى ، و كما جاء الشعر بعيدا عن نزعة القنوط أو اليأس ومعاني الرثاء إسلامية نابعة من القرآن الكريم، وعاطفة الشاعر صادقة .

ثانياً: الزهد

يعد الزهد ظاهرة بارزة في شعر الخوارج، ولكن دون وجود نظرة فلسفية متكاملة خاصة بهم، إلاّ أنّ لهم أفكار خاصة حول الحياة والموت وما بعدهما، تنبع من القرآن الكريم، ومما يلاحظ أن الخوارج لم يأخذوا برأي الإسلام كاملا، فقد أخذوا جانبا وأهملوا جانبا وتطرفوا وغالوا في ترجيح هذا الجانب، مما جعلهم يعزفون عن التمتع بالدنيا وخيراتها، والأخذ بنصيبهم منها .

وربما يعود أصل هذا التشاؤم للظروف القاسية التي عاشوها، إذ لم تنته دماؤهم طوال الحكم الأموي، حتى أعلن الخوارج الحرب على المسلمين كافة، وحينما فشلوا في بناء المجتمع الذي كانوا يخططون له ويحلمون به، ولم يتمكنوا من تحقيق استقرار سياسي ينشدونه، نظروا إلى هذه الحياة نظرة تشاؤمية طغت على أفكارهم، فلم يروا من جمالها إلا قبحا، وكانوا ينظرون بمنظار أسود تجاه كل شيء، مما جعلهم يشمئزون منها، ويؤثرون العيش الرغيد في جنان الآخرة[٣٦] ، أمّا النزعات الزهدية البارزة في شعر الخوارج، فتدور في رحى أفكارهم حول الحياة والموت، وتقوى الله التي يرونها ضمانة الخلود في جنان الآخرة ، فمما يلاحظ على الخوارج كثرة العبادة؛ فقد كانوا يقضون الليل في التهجد والصلاة، فتراهم ركعا سجدا يتلون كتاب الله، فإذا مروا بآية فيها ذكر الله استدروا الدمع من مآقيهم، وبكوا شوقا إليه، فجعلوا الليل مكابدة لا تنقطع .

قال شاعرهم عيسى بن فاتك، يصف أبا بلال واصحابه من الخوارج[٣٧]:

- إذا مـــا الليـــلُ أظلـــمَ كابـــدوهُ فيســـفرُ عـــنهم وهـــمْ ركـــوعُ
- أطـــارَ الخـــوفُ، نـــومَهمْ فقـــاموا وأهـــلُ الأرضِ فـــي الـــدنيا هُجـــوعُ
- يعـــالون النحيـــبَ إليـــه شـــوقاً وإن خفضـــوا فـــربُهم سَـــميعُ

ومن كثرة عبادتهم وتقواهم، فقد سيطر عليهم الخوف من عذاب الآخرة، مما دفع بعضهم إلى المغالاة في تأدية النوافل، حتى أصبحت جسومهم ناحلة قليلة اللحم – لقلة الطعام – لدرجة لا تجد

معها الطيور حاجتها على تلك الهياكل الضامرة، الملقاة على أرض الفلاة، وهذا يتبين في قول فروة بن نوفل[٣٨]:

– تظلُ عتاقَ الطيرِ تحجلُ حولهمْ يعللنَ أجساداً قليلاً لحومَها
– لطافاً برها الصومُ حتى كأنَّها سيوفٌ إذا ما الخيلُ تُدمي كلومَها

وهذه المكابدة في الحياة دفعتهم إلى السأم من الحياة والتزهد عنها وتركها ورائهم، مما حدا بالحويرث الراسبي تقريع نفسه، ولومها على التمسك بالحياة الدنيئة التي لا خير فيها، ثم يدعوها إلى الحكمة والتعقل، والتخلي عن الحياة المذمومة التي يعيشها، ففي رثاءه لصالح بن مسرح التميمي أحد الزاهدين من الخوارج يقول حويرث[٣٩]:

– أقولُ لنفسي في الخلاءِ ألومها هُبلتِ وعيني قد مللتُ من العمرِ
– ومن عيشةٍ لا خيرَ فيها دنيئةٍ مذممةٍ عندَ الكرامِ ذوي الصبرِ
– سأركبُ حوباءِ الأمورِ لعلني ألاقي الذي لاقى المحرّقَ في القصرِ
– وما كانَ غمراً صالح غير أنه رمتْهُ صروفَ الدهرِ من حيثُ يدري

وعلى ذلك، أصبح ضرباً من الجهل عند الخوارج التلهي بآمال كاذبة، فمن العبث انشغال الإنسان بحطام الدنيا الذي يجمعه لغيره، فبدلا من ذلك، يتزود بثروة التقوى والإيمان التي تساعده على مواجهة أيام الفقر البائسة في دار الخلود الأبدية، ومن ذلك موقف عمران بن حطان في أمر الحياة والموت[٤٠]:

حتى متى تُسقى النفوسُ بكأس ربَ المنونِ وأنتَ لاه ترتعُ
أفقد رضيتَ بأنْ تعللَ بالمُنى وإلى المَنيةُ كلَّ يومٍ تُدفعُ
أحلامُ نومٍ أو كظلٍ زائلٍ إن اللبيبَ بمثلها لا يُخدعُ
فتزودن ليومِ فقركَ دائباً واجمعْ لنفسكَ لا لغيركَ تجمعُ

وقد بلغ زهدهم حداً لم يعرف من قبل؛ إذ أصبحت أمنية شاعرهم أنْ يقتل ويرمى بعظامه في الخلاء لتنثرها الرياح، أو حين يختار قبره في بطون نسور السماء الباحثة عن فريستها[٤١]، مثال ذلك قول الطرماح بن حكيم في أمنيته[٤٢]:

– فأقتلُ قعصاً ثم يرمى بأعظُمي كضغثِ الخلا بين الرياحِ العواصفِ
– ويصبحُ لحمي بينَ طيرِ مقيلهِ دوينَ السماءَ في نسورٍ عوائفِ

وهكذا أصبح طلب الشهادة غاية يسعى إليها، ونهاية يتمناها الزاهدون، فصاروا يتسابقون لنيلها، ويستعجلون الموت لتحقيقها؛ لأنّها تجارة لن تبور، مثل ما قاله قطري بن الفجاءة حين تمنى بلوغ الشهادة بقوله[٤٣]:

هي الغايةُ القصوى الرغيبُ ثوابها إذا نالَ في الدُنيا الغِنى كلَ تاجرِ

وثمة خوارج لهم آراء معتدلة، ونظرة أكثر تفاؤلا للحياة، ولا يرون غضاضة في اليسر والغنى، وفي هذا يقول عمرو بن الحسن الإباضي الكوفي[٤٤]:

- متراحمينَ ذوو يسارِهمْ يتعطّفونَ على ذوي الفقرِ
- وذوو خصاصَتهم كأنّهمْ من صدقِ عفتِهم ذوو وفرِ
- فكذلك مُثريهم ومُقترهمْ اكرمْ بمقترهمْ وبالمثري

وكما أن الخوارج يتسابقون إلى الموت للفوز بالشهادة، فإن بعضهم ينتابه ما ينتاب الناس من الحرص على الحياة، وعمران بن حطان كان من الزاهدين، ونستنتج هذا من قوله الذي يقول فيه[٤٥]:

- أرى أشقياءَ الناسِ لا يسأمونها ملالاً وهم فيها عراةٌ وجوعُ
- أراها وإنْ كانت تحبُ كأنَّها سحابةُ صيفٍ عن قليلٍ تقشعُ
- كركبٍ قضوا حاجاتَهم وترحلوا طريقُهم بادي العلامةِ مهيعُ

وخلاصة القول في شعر الزهد عند الخوارج، أنَّ الشاعر الخارجي يستجيب لنداء الحياة ويحبها تلبية لعاطفة إنسانية تدفعه إلى ذلك، وتارة يود الإفلات من الحياة، لينتقل إلى جنات الخلد، الا ان نزعة التزهد عن الدنيا والملل منها والابتعاد عن ملذاتها كانت اقوى بكثير .

ثالثاً: الهجاء

جاء الهجاء في شعر الخوارج ضمن العقيدة الدينية التي يعملون من أجلها، وفي إطار الأهداف السياسية التي يسعون لتحقيقها، وكان أول ما لجؤوا إليه في هجائهم رمي مخالفيهم من المسلمين بعصيان الله حين رضوا بتحكيم الضالين الجبارين، ما دام هؤلاء قد ضلوا الطريق وانحرفوا عن جادة الصواب، فلا بد من التبرؤ منهم، كما مر في شعر المصك الطائي، فالله مولى الخوارج وغيرهم لا

مولى لهم ((وهكذا يتخذ الهجاء لديهم لوناً جديداً، فإذا هو بالنسبة لإعدائهم هجاء حاد بالكفر والإلحاد والضلال ومجافاة روح الإسلام))[٤٦]، ولهذا نجد قطري بن الفجاءة قد استباح في شعره دماء خصومه، لأنهم كفرة وخارجين عن الملة كما في قوله[٤٧]:

– فلو شهِدنا يوم ذاك و خيلُنا تبيحُ من الكفارِ كلَ حريمِ

والى جانب هذه المعاني الدينية نجدهم يهجون خصومهم بمعان أخلاقية ملحقا بهم الخزي والعار بصفات مشينة في مجتمع عربي تتفاخر بأضداد هذه الصفات والشيم[٤٨]، ومن ذلك هجاء عمران بن حطان للحجاج حين يقول[٤٩]:

– أسدٌ عليَّ وفي الحروبِ نعامةٌ ربداءُ تجفلُ من صفيرِ الصافرِ

هذا شأن الخوارج مع المسلمين، ((أمّا إذا كان بينهم فهو نقد لروح التخاذل والإخلاد إلى الدعة وحض على الاستمساك بمبادئهم والذود عنها بالسلاح مع التذكير بفناء الدنيا وزوالها والإشادة بما أعده الله للمخلصين في نصرة عقيدتهم والاستشهاد دونها من ثواب و أجر))[٥٠]، ومن ذلك ما بعث به قطري إلى سميرة بن الجعد الذي صار نديماً للحجاج، وغرته مباهج القصر ليعود عن غيه، ولا يكون ذلك إلا بالتكفير عن الذنوب، وهذا يتطلب التوبة والشرابية طلبا للشهادة[٥١]، وفي هذا يقول[٥٢]:

– وتبْ توبةً تهدي إليكَ شهادةً فإنَّكَ ذو ذنبٍ ولستَ بكافرِ
– وسرْ نحونا تلقَ الجهادَ غنيمةً تفدكَ ابتياعاً رابحاً غيرَ خاسرِ

ونجد في بعض شعر الخوارج لومهم لبعضهم، حيث يتخذ طابع التنديد والنقد الحاد، ولكنه بأسلوب خفي، وألفاظ تكون مناسبة لمقام صديق السلاح والعقيدة، ومن ذلك لوم زيد بن جندب للأزارقة عندما وقع الخلاف بينهم، إذ نراه يبعث بالتهنئة لأعداء الشراة من المحلين، ذلك بعد وقوع الخلاف بين القوم، وغلب عليهم البغضاء، وأصابهم الجبن، وما كان هذا إلا بعد أن تلهى هؤلاء الأزارقة بالهزل دون الجد، وبالقول دون العمل، ثم يعود فيصور نفسه بأنه الخارجي الصادق[٥٣]، فيقول[٥٤]:

– قلْ للمُحلينَ قدْ قرتْ عيونُكمْ بفرقةِ القومِ والبغضاءِ والهربِ

– كنـــا أناســـاً علـــى ديـــنٍ ففرقنـــا قـــرعُ الكـــلامِ وخلـــطَ الجـــدِ باللعـــبِ
– مـــا كـــانَ أغنـــى رجـــالاً ضـــلَّ ســـعيُهم عـــن الجـــدالِ وأغنـــاهم عـــن الخطـــبِ
إنّـــي لأهـــونُكم فـــي الأرضِ مضـــطرباً مـــا لـــي ســـوى فرســـي والـــرمحُ مـــن نشـــبِ

ويلمح عند بعضهم نوعا من التأنيب الذاتي، مما جعلهم يتلاومون لتخلفهم عن إخوانهم، والتحسر على ما فاتهم(٥٥)، وثمة شاعر لم يجد العذر في خذلان صاحبه، وتقصيره بحقهم، فيشكو الله ليحكم في هذا كما في قول عمرو بن الحصين الاباضي(٥٦):

– كـم مـن أولـي مِقـةٍ صـحبتُهُمْ شـروا فخـــذلْتُهم ولبـــئسَ فعـــلُ الصـــاحبِ

وعندما يهجو الخارجي، فإنه يبقى أسير العقيدة الخارجية بشكل عام، إلا أن ذلك لم يمنع من وجود اتجاه تقليدي مألوف في الهجاء، فقد يلجأ إلى التعرض لمظهر المهجو الشخصي، وتكوينه الخلقي أو لون المهجر أو عرفه أو أسنانه، إلا أن ذلك كان محدودا لا يمثل اتجاها ظاهرا في شعر الخوارج، فهذا عبيدة بن هلال يهجو ابن معمر فيقول(٥٧):

– أشغى عقنباة ونابٌ ذو عصلِ

– وقلحٌ بادٍ وسنٌّ قد نصلِ

ومن خلال هذا العرض نصل الى أنّ هجاءهم لم يصل الى مرحلة الفحش وهتك العرض والتحدث بما يغضب الله منهم .

رابعاً: المديح

لم يتزلف شعراء الخوارج إلى ذوي السلطان، ولم تكن غايتهم الارتزاق والتكسب؛ وذلك لزهدهم عن ملذات الحياة، واعتقادهم أن المال مال الله، فليطلب الحاجات من الله العادل المقسم لا من الخليفة أو الامير أو غيرهم(٥٨)؛ لهذا نجد عمران بن حطان يلوم الفرزدق لمدحه العباد فيقول(٥٩):

– أيهـــا المـــادحُ العبـــادَ ليُعطـــى إنَّ الله مـــا بأيـــدي العبـــادِ
– فســـألِ اللهَ مـــا طلبـــتَ إلـــيهم وارجُ فضـــلَ المقســـمِ العـــوادِ

و لأنَّ شعراء الخوارج هم زعماء القوم وقادتهم، في حين أن أصحاب السلطان الأمويين وسواهم كفار ملحدون – بنظر الخوارج – فقد تحول المديح إلى ثناء على أصحابهم، وتمجيد لمآثر

زعمائهم، ويصبون الثناء على سلوكهم في إطار جماعة الخوارج ومن أجل ما يؤمنون بها [٦٠] ، فنجد الشاعر عمران به حطان يمدح ابن ملجم على فعلته الشنيعة بقتل الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، حيث يرى الشاعر أن تلك الضربة القاتلة غاية توصل صاحبها رضوان الله، ثم يتجلى حقده الدفين، والسم الزعاف على الإمام علي كرم الله وجهه، فيرفع من شأن قاتله، حتى يدخله الجنة على فعلته القبيحة (لعنه الله)، وفي الوقت نفسه نجد الشاعر يمدح جماعة الخوارج الذين شبعت الطير من لحومهم، والذين حفظوا دينهم من الشوائب، ثم يعود إلى ذكر الشراة وفكرهم، فيصفه بالعدل بين الناس، وأخيرا يتلوم حين لا يجد له أنصارا[٦١]:

- للهِ درُ المُرادي الذي سفكتْ كفاهُ مهجةً شرُ الخلقِ إنسانا
- أمسى عشيةً غشاهُ بضربتِه مما جناهُ من الآثامِ عريانا
- يا ضربةً من تقيٍ ما أرادَ بها إلا ليبلغَ من ذي العرشِ رضوانا
- اني لأذكرُه حينا فأحسبهُ أوفى القريةِ عندَ اللهِ ميزانا
- أكرمْ بقومٍ بطونُ الطيرِ قبرُهم لم يخلطوا دينَهم بغياً وعدوانا

وعلى الرغم من جنوح الخوارج إلى هذه الاتجاه في المديح، إلا أنهم لم يتحرجوا من استخدام الشعر وسيلة للتعبير عن عرفانهم بالجميل، وامتنانهم لصانع الخير معهم، ولو كان من خارج معسكرهم[٦٢]، فنجد عمران بن حطان يمتدح الأزد كما في قوله[٦٣]:

- نزلْنا بحمدِ اللهِ في خيرِمنزلٍ نَسرُ بما فيه من الأنسِ والخفرُ
- نزلْنا بقومٍ يجمعُ اللهُ شملَهم وليسَ لهم عودٌ سوى المجدُ يعتصرُ
- من الازدِ أنّ الازدَ أكرمُ معشرٍ يمانيةٌ طابوا إذا نسبَ البشرُ

ويلاحظ في مدحهم هذا اعتمادهم على مقاييس المدح المألوفة عند العرب في الجاهلية؛ كالنسب العريق، وحماية الجار، وإكرام الضيف، وغيرها من الصفات التي كان يتغنى بها شعراء العصر ، بينما في مدحهم لجماعتهم لا يتحدثون عن ذواتهم الشخصية انما يكون مدار مدحهم سلوكهم وتقواهم ومدى تمسكهم بعقيدة الخوارج، وبهذا قد أخرجوا المدح من اطاره ووظيفته التقليدية واصبح أداة لخدمة دعوتهم الخارجي يقترب في أحيان كثيرة من الفخر والاعتزاز بتقواهم وشجاعتهم المنقطعة النظير في الحروب والوقائع[٦٤] .

خامساً: الفخر

عكس التوقعات جاء الفخر عند الشاعر الخارجي، فعند الاطلاع على موروثنا الشعري نجد غرض الفخر قد مر بتحولات، ففي العصر الجاهلي كان الأنا الفردي والجماعي عند الشاعر الجاهلي عالياً جداً، بينما في العصر الاسلامي اختفى الأنا الفردي بشكل ملحوظ منصهراً في الأنا الجماعي – الجماعة الإسلامية – ، ولكن عاد الفخر بالنفس وارتفاع الأنا الفردية والجماعية – العصبية القبلية – في العصر الأموي ولكن هذا العود غير الحميد لم يجد صداه في فخر الشاعر الخارجي، فإذا برز الناس امام البعض وتفاخروا تفاخر الخارجي بدينه الإسلام وعقيدته الخارجية ((وطبيعي أن يفخر الشاعر الخارجي بتقواه وشجاعته وأن يتحول الفخر التقليدي في شعره إلى إشادة بالذات الخارجية المؤمنة الباسلة وبإيثارها وتضحياتها من أجل المبدأ وفخرها بما قدمت في سبيله))[٦٥]، وفي هذا يقول عيسى بن فاتك[٦٦]:

– أبي الإسلامُ لا أبَ لي سواه إذا فخَروا ببكرٍ او تميمِ
– كلا الحيين ينصرُ مُدعيه ليُلحقه بذي وما حسبٍ الصميمِ
– وما حسبُ ولو كرمتَ عروقٌ ولكنَّ التقيَ هو الكريمِ

ويلاحظ في فخر شعراء الخوارج بأنفسهم، أنهم كانوا يجعلون الأنا الذاتية في خدمة الفكرة والعقيدة التي يعملون من أجلها، فهذا الشاعر ابن وهب الراسبي الشاري كان يفتخر بنفسه ومذهبه أو فكرته، حيث أخذ يرتجز يوم النهروان[٦٧]:

– انا ابنُ وهبٍ الراسبي الشاري

– اضربُ في القومِ لاخذِ الثارِ

– حتى تزولَ دولةَ الاشرارِ

– ويرجعَ الحقُ الى الاخيارِ

وهذا شاعرهم الخيبري يرتجز متفاخراً ومعتداً بنفسه يتحدى الخليفة الأموي مروان بن محمد فيقول[٦٨]:

– إنْ تكُ مروانَ فأنّي الخيبريُ

– أضربُ بالسيفِ على حكمِ النبي

– سابغةً درعي حصينٌ مغفري

والجدير بالذكر في مجال الفخر عند شعراء الخوارج، أنهم يتعدون النطاق الفردي، ولا يستطردون في فضائلهم الذاتية، ولكنهم يرغبون في مشاركة أصحابهم لهم، فيتحولون من حديث الأنا الشاعر إلى نحن الخوارج، ومثال ذلك قصيدة قطري بن الفجاءة الذي يتحدث يوم دولاب لا يحتكر النصر لنفسه، بل يجعل الفضل في هذه المعركة الشباب الخوارج الذين باعوا أنفسهم لله[٦٩]، من ذلك قوله[٧٠]:

– رأتْ فتيةً باعوا الإلهَ نفوسَهم بجناتِ عدنٍ عنده ونعيمِ

ومن الجدير بالذكر وبالرغم من أن الشعر في العصر الأموي تميز بعودة العصبية القبلية ولكن لو استثنينا شعر الطرماح في العصبية القبلية لأصبح بمقدورنا أن نقول بفناء هذا النوع الشعري في شعر الخوارج، كما إنَّ الغزل في أشعارهم كان عبارة عن كلام جميل موجه إلى الزوجة الصالحة التي تنتظر من زوجها نصرة العقيدة الخارجية بعيداً عن ذكر المفاتن والمحاسن – بالرغم من ظهور أكثر من اتجاه ومدرسة غزلية في العصر الأموي – وهذا راجع إلى نظرتهم للمرأة ومكانتها في المجتمع الخارجي ودورها العملي والتاريخي في ميدان الوغى معهم[٧١].

الخاتمة

في تصفحنا لديوان شعر الخوارج تبين لنا الآتي:

١- الأولوية للعقيدة الخارجية التي يؤمنون بها في جميع الاغراض الشعرية التي أنشدوا ونظموا فيها .

٢- الالتزام الواضح في شعرهم وعند جميع شعرائهم، أي ان شعراءهم عاشوا وماتوا من أجل ما يؤمنون به بعكس الشعراء المعاصرين لهم الذين لم يثبتوا على عقيدة او افكار سياسية معينة .

٣- عدم التكسب بشعرهم وعدم التزلف لأصحاب القرار كان من اهم سمات شعرهم .

٤- نستطيع أن نعد الشاعر الخارجي أول الخارجين على قوانين بنية القصيدة العربية، فلم يقفوا على الطلال يبكون ويستبكون ولا تقيدوا بالمقدمة الغزلية مسايرة لمن نظم قبلهم القصيد بل استغنوا عن هذه الامور تماشيا مع حالتهم الشعورية الآنية والمستعجلة في كثير من الاحيان، وهذه تعتبر من اوائل الخطوات نحو التجديد في شكل القصيدة العربية .

٥- لاحظنا أن جل شعرائهم من القادة والزعماء للمذهب الخارجي وهذا الأمر جعل شعرهم يتميز بكونه خلاصة تجربة ذاتية خالصة، بعيدة عن الرياء والتكلف متبديا فيها روح البدواة التي لم تفسده المدنية .

٦- ومن الملاحظ والمستغرب لا نجد في شعر الخوارج بيانا دقيقا لما يؤمنون به ولم يتصدوا بالشرح لأمور مهمة ومفصلية جدا في أشعارهم ومنها الإمامة ورايهم في الإيمان والكبائر وغيرها من الأمور العقائدية المهمة .

٧- اغفلوا قصدا ذكر الفرق الخوارج والجماعات التي كانت تخرج بمسميات مختلفة، وكأنهم يقولون أن الكل واحد والكل تجمعهم عقيدة الخوارج .

٨- الحماس واثارة العاطفة وتحريك المشاعر كانت سمة بارزة في الشعر الخارجي .

٩- نفس الشاعر الخارجي قصيرة في معظم الأحيان باستثناء بعضهم .

١٠- بما أن الشاعر الخارجي كان يدعوا الناس – العامة منهم والخاصة - الى الاعتقاد بعقيدته الخارجية فقد توخى السهولة واليسر في معانيه والفاظه، وبناء على هذا نستطيع أن نقول أنهم من اوائل المجددين في اللغة الشعرية التي تتوخى الوضوح والفهم لا ابراز القدرة اللغوية .

١١- نأى الشاعر الخارجي بنفسه من العصبية القبلية التي عادت الى المجتمع الاسلامي وبقوة .

١٢- بما أن الخارجي كان كثير القراءة للقرآن وكثير العبادات فقد تلون شعر شعرائهم بهذا من خلال تضمين الآيات القرآنية والاقتباس منه .

١٣- سنين عمرهم التي أفنوها في الكر والفر كانت تلائم الرجز لذا نجد نظمهم للرجز بكثرة عند شعرائهم .

١٤- غزلهم بالرغم من قلته كان موجه إلى الزوجة بدون ذكر المحاسن ومفاتن المرأة ومذكراً بدورها المتميز والتاريخي في تلك الدعوة

الهوامش :

[١] ينظر: ابو جعفر محمد بن جرير الطبري، تاريخ الطبري: ٥/ ٦٤ وما بعدها / وعبد القاهر بن طاهر البغدادي، الفرق بين الفرق: ٦١ وما بعدها / وابو الحسن بن علي المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر : ٢/ ٣٠٧ وما بعدها .

[٢] مجدي وهبة وكامل المهندس: معجم المصطلحات في اللغة والأدب: ١٦٣، وينظر: تاريخ الشعر السياسي إلى منتصف القرن الثاني، د.أحمد الشايب: ١٤١ .

[٣] ينظر الفرق الإسلامية في الشعر الأموي، د.النعمان القاضي: ٢٢٢ .

[٤] النساء: ١٠٠ .

[٥]التطور والتجديد في الشعر الأموي، د.شوقي ضيف: ٨٧ .

[٦]اتجاهات الشعر في العصر الأموي، د.صلاح الدين الهادي: ١٦٥ .

[٧] ينظر: أدب السياسة في العصر الأموي: ٢٢٩ – ٢٣٧ .

[٨]ينظر : المصدر نفسه : ٢٣٧ .

[٩]التطور والتجديد في الشعر الأموي: ٨٧ .

[١٠] المائدة ٤٤

[١١] الفرق الإسلامية في الشعر الأموي، د.نعمان القاضي: ١٦٠ – ١٦١ .

[١٢]ينظر: تاريخ الطبري ٦٧ وما بعدها .وينظر حزب الخوارج في أدب العصر الأموي، د.ثريا عبد الفتاح ملحس: ٣٤ وما بعدها .

[١٣] احسان عباس، شعر الخوارج: ٤٣.

[١٤]المصدر نفسه: ١٨٥ .

[١٥]المصدر نفسه:٤٣ .

[١٦]المصدر نفسه: ٣٦ .

[١٧]ينظر: د.نايف معروف، الخوارج في العصر الأموي: ١٩٢ وما بعدها .

[١٨]شعر الخوارج: ٢٠٠ .

[١٩] المصدر نفسه: ٥١ – ٥٢ .

[٢٠]الخوارج في العصر الأموي: ٢٦٠، وينظر: اتجاهات الشعر في العصر الاموي: ١٧٦ وما بعدها .

[٢١]شعر الخوارج: ٢٠١ .

[٢٢]ينظر: د. ثريا عبد الفتاح ملحس، حزب الخوارج في أدب العصر الأموي: ٥٨ .

[٢٣]شعر الخوارج: ٤٤ .

[٢٤]المصدر نفسه: ٣٥ .

[٢٥]الخوارج في العصر الأموي: ٢٦٤ .

[٢٦]شعر الخوارج: ٢٤٣ .

[٢٧]ينظر: د. ابتسام مرهون الصفار، الأمالي في الأدب الإسلامي: ٢٣٢ .

[٢٨]شعر الخوارج: ٢٠٠ .

[٢٩]المصدر السابق:٩١ .

[٣٠]المصدر نفسه: ٧٣ .

[٣١]ينظر: الخوارج في العصر الأموي: ٢٨٦ .

[٣٢]المصدر نفسه: ١٢٥ .

[٣٣]ينظر: القصيدة وتحليلها، الامالي في الادب الاسلامي: ٢٣٤ .

[٣٤]ينظر: الخوارج في العصر الأموي: ٢٦٩ .

[٣٥]شعر الخوارج: ١٤٣.

[٣٦]ينظر: الخوارج في العصر الأموي: ٢٧١ .

[٣٧]شعر الخوارج: ٥٦ .

[٣٨]المصدر نفسه: ٤٣ .

[٣٩]المصدر نفسه: ١٧٧ .

[٤٠]المصدر نفسه: ١٥٥ .

[٤١]الخوارج في العصر الأموي: ٢٧٤ .

[٤٢]شعر الخوارج: ٢٣٨ .

[٤٣]المصدر نفسه: ١٢١ .

[٤٤]المصدر نفسه: ٢٢٢- ٢٢٣ .

[٤٥]المصدر نفسه: ١٥٤-١٥٥ .

[٤٦]الفرق الإسلامية في الشعر الأموي، د. نعمان القاضي: ٤٤٩ .

[٤٧]المصدر نفسه: ١٠٧ .

[٤٨]ينظر: اتجاهات الشعر في العصر الأموي: ١٨٩ .

[٤٩]شعر الخوارج: ١٦٦ .

[٥٠]الفرق الإسلامية في الشعر الأموي: ٤٤٩ .

[٥١] ينظر: د. محمد مصطفى هدارة، الشعر في صدر الاسلام والعصر الاموي: ١٩٣ .

[٥٢]شعر الخوارج: ١٢٠ .

[٥٣]ينظر: الخوارج في العصر الاموي: ٢٨٠ .

[٥٤]شعر الخوارج: ١٢٩ – ١٣٠ .

[٥٥]ينظر: د. عبد القادر القط، الشعر في صدر الاسلام والعصر الاموي: ١٩٣ .

[٥٦]شعر الخوارج: ٢٢٩ .

[٥٧] المصدر نفسه: ١٠١ .

[٥٨]ينظر: في الشعر الإسلامي والأموي: ٣٧٨ .

[٥٩]شعر الخوارج: ١٥٨ .

[٦٠]ينظر: الفرق الإسلامية في الشعر الأموي: ٤٤٥ وما بعدها .

[٦١]شعر الخوارج: ١٤٧.

[٦٢]الخوارج في العصر الأموي: ٢٧٧ .

[٦٣] شعر الخوارج: ١٦٤ .

[٦٤]ينظر: الخوارج في العصر الأموي: ٢٧٧ .

[٦٥]الفرق الإسلامية في الشعر الأموي : ٤٤٩ -٤٥٠ .

[٦٦]شعر الخوارج: ٥٨ .

[٦٧]المصدر نفسه: ٣١ .

[٦٨]المصدر نفسه: ٢٠٥ .

[٦٩]الخوارج في العصر الأموي: ٢٨٤ .

[٧٠]شعر الخوارج: ١٠٧ .

[٧١]ينظر: الفرق الإسلامية في الشعر الأموي: ٤٥٠ – ٤٥٣ .

قائمة المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم .

٢- الأمالي في الأدب الإسلامي، د.ابتسام مرهون الصفار، دار ابن الاثير، العراق/الموصل، د – ط، ١٩٩١ .

٣- اتجاهات الشعر في العصر الأموي، د.صلاح الدين الهادي، مكتبة الخانجي، القاهرة – مصر، ط ١، ١٩٨٥ م – ١٤٠٧ هـ .
٤- تاريخ الشعر السياسي إلى منتصف القرن الثاني، د.أحمد الشايب، مكتبة الاعتماد، مصر، د.ط، د.ت .
٥- تاريخ الطبري تاريخ الرسل والملوك ابو جعفر محمد بن جريرالطبري ت ٢٢٤-٣١٠ هـ، تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم، دار المعارف،مصر/القاهرة، ط٢، د – ت .
٦- حزب الخوارج في أدب العصر الأموي، د.ثريا عبد الفتاح ملحس، دار الكتاب العالمي، لبنان/بيروت، ط ١، ١٩٨٩ .
٧- الخوارج في العصر الأموي، د.نايف محمود معروف، دار الطليعة، بيروت، لبنان/بيروت، ط ٥، ١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٤ م .
٨- الشعر في صدر الاسلام والعصر الاموي ، د.محمد مصطفى هدارة، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، لبنان/بيروت، د – ط، ١٩٩٥ .
٩- شعر الخوارج، د.احسان عباس، دار الثقافة، لبنان/بيروت، ط ٢، ١٩٧٤.
١٠- الفرق الإسلامية في الشعر الأموي، د.النعمان القاضي، دار المعارف، القاهرة – مصر، د- ط، ١٩٧٠م .
١١- الفرق بين الفرق، عبد القاهر بن طاهر البغدادي ت ٤٢٩ هـ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الطلائع، مصر/القاهرة، د – ط ، ٢٠٠٩ .
١٢- في الشعر الاسلامي الاموي، د.عبد القادر القط، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، لبنان/بيروت، د – ط، د- ت .
١٣- مروج الذهب ومعادن الجوهر، ابو الحسن بن علي المسعودي ت ٣٤٦ هـ، اعتنى به وراجعه: كمال حسن مرعي، المكتبة العصرية، لبنان/بيروت، ط١، ١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٥ .
١٤-معجم المصطلحات في اللغة والأدب، مجدي وهبة وكامل المهندس، مكتبة بيروت، لبنان/بيروت، ط ٢، ١٩٨٤ .

Abstract

This study aims to shed light on the reason for naming the Kharijites by this name, as well as to identify their most prominent poetic topics in which they excelled and not others, and the reason for their emphasis on these topics without others. traditional subjects and purposes, as well as shedding light on some changes in the introductions to their poems and the lack of interest in them, and their poetry tended to be short in verses. He made the poetic system with all its subjects for the sake of the external invitation only, and as a result they kept away from some topics that did not serve their cause and were not in line with their call, such as the poetry of tribalism and contradictions despite their widespread presence in the Umayyad era. Serving a single cause and a unified idea, which is to uphold the creed of the Kharijites in which they believe .key words

Kharijites – arbitration – purchase – poetic themes – features of Khariji poetr